# محتويات العدد


I – أبحاث لغوية

* "إن" الشرطية في القرآن الكريم

الدكتور زيان أحمد الحاج إبراهيم ..... 7

* أثر العربية في الألفاظ العربية

الدكتور حسن أحمد تقي سعيد ..... 42

* الكتابة بين السريانية والعربية

الدكتور محمد علي الزركان ..... 53

* الاشتقاق الإبدالي وأهميته في وضع المصطلح العربي

الدكتور ممدوح أحمد حسارة ..... 77

* نظرية جديدة في دراسة بنية اللسان العربي/ القسم الثاني: طريقة جديدة في دراسة النحو العربي

الدكتور جعفر دك الباب ..... 91

II – أبحاث ودراسات في التعريب والترجمة والمصطلح

* العلاقة بين علم المصطلح ونظرية الترجمة

الدكتور علي القاسمي ..... 105

* بيت الحكمة مهد العصر الذهبي للترجمة

الأستاذ أحمد الشاوني بعبد الله ..... 113

* منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده

الأستاذ جواد حسني سماعنه ..... 127

* أهمية معاجم المعاني في استنباط المصطلح العلمي

الدكتور أحمد حليمة الأسود ..... 141

* مشروع منهجية خاصة بتعريب المصطلح الطبي

الأستاذ إدريس بن الحسن العلمي ..... 154

III مشاريع معجمية

* المعجم الموسوعي للمعرب والدخيل في اللغة العربية(2)

الدكتور مناف مهدي الموسوي ..... 167

* معجم علم وتقنية الغذاء (3)

الدكتور حسين عثمان ..... 173

* معجم مصطلحات علوم الينة (5)

الدكتور فاضل حسن أحمد ..... 191

متابعات ثقافية

* إصدار جديد: الترجمة الانجليزية العربية والعربية الانجليزية: دليل عملي ..... 200

* الندوة الأولى حول تعريب التعليم الهندسي ..... 201

* ندوة اللغة العربية واللسانيات ..... 203

V - Researches and Studies / Recherches et Etudes — أبحاث ودراسات بلغات أجنبية

* Word Order in the Arabic Basic Structures - An Infor mation Approach

Mazen Al-Waer Ph.D. ..... 3

* A Linguistic Study of the Adequacy of Arabic Orthography

Wajih H.Abderrahman Ph.D. ..... 31

* Language Learning and Linguistic Change

Abdullah Hamad Ph. D. ..... 39

* Translation - A Problem

Hassan S.Karmi Pr. ..... 43

* Semantic Aspect of Medieval Arabic Lexicography

Ali M.Al-Kasimi Ph. D. ..... 47

* Un Essai de Théorisation sur l'Imitation de l'Accent Parisien chez la Femme Tunisienne

Dr. Mahmoud Chouadi ..... 57

* Modèles Formels de Brachygraphie gigogne: - Le Cas de l'Arabe

Pr. Benmoumen Elhadj ..... 76

النص على أن الإبدال في أصوات الحروف الأعجمية التي لا يماثلها أصوات عربية لازم. ولو أن هذا المعنى يفهم من خلال كلام سيبويه السابق أيضاً وإن لم ينص عليه صراحة.

أما الخفاجي فلا يختلف بشيء عن سابقيه في هذا الموضوع فقد ذكر "أن العرب يبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجا وربما أبعدوا الإبدال في مثل هذه الحروف وهو لازم لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منه"(6).

ونستنتج من أقوال اللغويين في إبدال الأصوات الأعجمية ما يأتي:

1 - إن إبدال الحروف التي لايوجد لها نظير في العربية واجب في الألفاظ المعربة.

2 - يبدل الحرف الأعجمي بآخر عربي أقرب من غيره إليه من حيث المخرج غالبا.

3 - لم يكن مراعاة القرب المخرجي مطرداً في كل الحروف، لأن العرب أجازوا الإبدال بين الأصوات المتباعدة المخارج.

4 - لم يلحظ اللغويون العرب في الإبدال التقارب في صفات الحروف ولعلهم قد غفلوا عن هذه الناحية وهذا ماسنناقشه فيما بعد.

وبناء على ما تقدم غيّر العرب الحروف التي بين "الجيم والكاف وربما جعلوه جيماً وربما جعلوه كافاً وربما جعلوه قافاً لقرب القاف من الكاف... وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء فاءً وربما أبدلوه باءً"(7) وهذا الشيء نفسه فعلوه في حروف ( V، القاف) وغيرها.

أما التغيير الذي حدث في أصوات الحروف التي يوجد نظير لها في العربية فهو أمثال التغيير الذي حدث في حرف الشين في الكلمة الفارسية (دشت) التي تعني الصحراء إلى سين فعربوها إلى (دست)(8).أو في قلبهم الظاء طاء كما صرح بذلك الأصمعي في قوله إن "العرب تجعل الظاء طاء ألا تراهم قالوا ناطوراً أي ينظر"(9). إلى غير ذلك من الحروف الكثيرة التي غيرها العرب في أثناء التعريب.

وقد قسم بعض اللغويين الإبدال في الحروف عند التعريب إلى قسمين بعد ملاحظة إطراده أو عدمه. وهما:

1 - إبدال مطرد وهو الحاصل في الحروف التي لايوجد لها ما يماثلها في العربية فقد ذكر السيوطي أن "البدل المطرد هو في كل حرف ليس من حروفهم كقولهم كربج، الكاف فيه بدل من حرف بين الكاف والجيم فأبدلوا فيه الكاف، أو القاف نحو قربق، أو الجيم نحو جورب، وكذلك فرند هو بين الباء والفاء فمرة تبدل منها الباء ومرة تبدل منها الفاء"(10).

وإذا كان العرب القدماء قد جعلوا إبدال الحروف الأعجمية مطرداً عند التعريب فإنهم لم يعيّنوا حرفاً واحداً لكل صوت معرب وإنما جعلوا له أكثر من صوت ومن دون أن يضعوا لنا قاعدة واضحة نسترشد بها في عملنا الحاضر في التعريب.

وإن عدم تحديد الصوت المقابل للأعجمي بدقة لم يقتصر على تعريب المفردات الفارسية وإنما يشمل كل اللغات التي عربت فيها مفردات تحوي حروفا غريبة عن اللسان العربي. ولعل من الأمثلة المناسبة في ذلك ما حدث في الألفاظ اليونانية، فالحرف "( chi) اليوناني الذي يلفظه المعاصرون كالخاء أو بما يشبه الشين على حسب موقعه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

**الأستاذ حسن محمد تقي سعيد في ذمة الله**

برفاة المغفور له الأستاذ حسن محمد تقي سعيد فقدت الأوساط الثقافية عالمـــا جليلا شارك بأبحاثه القيمة في إغناء مجلـــة (اللسان العربي).

وبهذه المناسبة الأليمة تقدم هيئة تحرير مجلة ( اللسان العربي) خالص عزائهـــا إلى أسرة الفقيد والوسط الثقافي العربي راجية من العلي القدير أن يتغمده برحمتـــه الواسعة وأن يلهم ذويه الصبر والسلوان.

﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾

# "إنْ" الشرطية في القرآن الكريم

**الدكتور زيان أحمد الحاج إبراهيم**

جامعة البحرين-كلية الآداب

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

**تقديم:**

أسلوب الشرط أحد الأساليب الأصيلة في اللغة العربية، يبرز في حلل متباينة ذات ألوان وتشكيلات متعددة، نكاد لانجدها بوفرة إلا عند أرباب الأقلام الثرة، المتمرسين في ضروب القول، وأصحاب البيان من الأدباء، شعراء وناثرين، بغرض التأثير في مريديهم من قراء ومستمعين، ودفع السأم والملل عنهم، بالخروج عن الرتابة التي قد تنفر منها النفس ويمجها الذوق، بالقدر الذي تتفاوت فيه قدراتهم في التعبير عن أفكارهم ونقلها إلى الآخرين.

وموضوع الشرط أمر شغل بال النحاة في الماضي والحاضر، فتوفروا على دراسته في مصادره الأصيلة من أقوال العرب شعراً و نثرا. وأبرز الدراسات التي نالت الحظوة في هذا المضمار. تلك الواردة في الكتاب المعجز، السهل الممتنع، الذي تحدى صنّاع الكلام ومهندسي البيان، ألا وهو القرآن.

لقد حظيت الأساليب العربية المختلفة بدراسات كثيرة، شأنها شأن غيرها من العلوم، ولكن أسلوب الشرط استأثر بالنصيب الأوفى منها، لا لشيء، إلا لتعدد أدواته من جهة، وتنوع الصور التي يجيء عليها ويتشكل فيها، من جهة ثانية.

كان الخليل وسيبويه - رحمهما الله - رائدين في هذا المضمار، تواترت بعدهما الجهود في دراسة علم النحو، بأساليبه المختلفة، ومنها أسلوب الشرط.

كما تناول قدامى النحاة- بعدهما - أسلوب الشرط في دراسة مستوعبة، ولكنها متفرقة هنا وهناك في كثير من الأحيان، فجاءت معلوماتهم عنه أشتاتا، كما اختلفت مواقفهم أحيانا من مفهومهم لأسلوب الشرط، حيث نظر إليه بعضهم على أنه جملة مركبة، واعتبره فريق منهم جملتين، واعتمد طرف آخر في دراسته على العامل، الذي هو الأداة. كما اختلفوا في استخدام المصطلح الشرطي فتعددت مدلولاته، فانسحب هذا الاختلاف على الدراسات اللغوية الحديثة(1).

إن جل هذه الدراسات، في عصورها المتعاقبة، انصبت على دراسة الجملة الشرطية من حيث المعنى، عن طريق تحليلها إلى ركنيها: " الشرط والجواب " (2).

ثم جاءت بعض الدراسات الحديثة المتخصصة فعرضت لدراسة أسلوب الشرط في القرآن الكريم وكلام العرب، كما نجد ذلك عند الدكتور أحمد اللهيب (3)، وعبد العزيز علي الصالح المعيد (4)، وإبراهيم بركات (5)، وأبي أوس إبراهيم سليمان الرشيد الشمسان الذي درس الجملة الشرطية منذ سيبويه،أي منذ مرحلة التكوين(6)،حتى مرحلة الاستواء والنضج(7)،ثم مرحلة التفسير والتقليد(8).

ومن هذه الدراسات ، دراسة متميزة بعنوان " الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات الوصفية " قام بها الدكتور عبد السلام المسدي، وزميله الدكتور محمد الهادي الطرابلسي. وقد جاءت هذه الدراسة في قسمين:

**أحدهما** : عرضَ لدراسة مظاهر بنية التركيب الشرطي اعتماداً على نظريات النحاة، كما استقرت وتبلورت عندهم متمثلة في شرح ابن يعيش للمفصل، ونظرة ابن هشام في المغني له، مستقرئيْن النص القرآني قاعدة له(9).

**وثانيهما**: اعتمدَ الدراسة الوظائفية للنصوص الشرطية الواردة في القرآن الكريم (10). وقد حظيت " إنْ " الشرطية في هذه الدراسة بنصيب وافر عند الأخوين الباحثين. تمحضها لمعنى الشرط وملازمتها إياه، من جهة؛ ولاطراد التركيب الشرطي بها، من جهة ثانية، بدليل أن نسبة تواترها في النص القرآني بلغت - عندهما - 41,47% (11) من مجموع أدوات الشرط الأخرى، فضلا عن أن بعض أدوات الشرط إنما اكتسب هذه الخاصية تضمنها معنى " إنْ " الشرطية؛ يضاف إلى ذلك مرونة التركيب الشرطي بها، إذ تتشكل في صور متنوعة، كونت هذه الصور غالبية موضوع هذا البحث (11).

ومن هنا حاولتُ أن أُلمّ شعث أسلوب الشرط الخاص بالأداة "إنْ"، وأجمعَ أشتاته في بحث متكامل، معتمدا في ذلك على أفصح الأساليب العربية، وهو القرآن الكريم.

ورأيتُ من الجدوى بمكان، ألا تنصب هذه الدراسة على النظرة النحوية البحتة، كما اقتصرت الدراسات الأخرى، بل حاولت جاهدا ربطها بالظواهر الأسلوبية، وتسليط الضوء على اللمحات البلاغية باستخدام " إنْ " في صورها الشرطية المختلفة، والكشف عن أكثر هذه الأساليب توظيفا لأغراضها البلاغية، وأوسعها انتشارا في كلام العرب والعصر الحديث.

وسأُحاول الإشارة، من وجهة نظري الخاصة، إلى سبب الخلط بين "إنْ" و"إذا" في الاستعمال، وطغيان " إذا " على أم الباب: الأمر الذي يوحي بأنّ "إنْ" قد تراجعت عن رتبتها ومنزلتها "كأم" ، وكأنها قد أصبحت في منأى عن الاستعمال إلى حدّ ما.

وكم كان بوُدّي معرفة مدى ارتباط القوالب الشرطية "إنْ" بتطور اللغة العربية، ومدى احتفاظ هذه القوالب القرآنية الشرطية الأصيلة (لأم حروف الجزاء) بنفس درجة الفاعلية عند أصحاب الأقلام العربية في مختلف العصور، وأثر هذا الاستعمال في تطويع المعيار حسب الزمن والتاريخ ، ولكن تبدّى لي أن هذه المهمة تحتاج إلى دراسة مستقصية مستفيضة، لا يتسع لها هذا المقام.

## نبذة عن "إنْ"، بكسر الهمزة وسكون النون

الشرط أحد الأساليب الشائعة في اللغة العربية، يأتي على صور متعددة، أغلبها فصيح، وأرقاها وأفصحها تلك الأساليب التي جاءت في القرآن الكريم، كما أن استعماله لايخلو من دلالات جمالية تكشف عنها القرائن.

وأسلوب الشرط لابد له من جملتين (12): تسمى الأولى الجملة الشرطية، والثانية جملة الجزاء، أو الجواب. وتجب الفعلية في الأولى؛ أما الثانية فحقها أن تكون فعلية ، وقد تكون اسمية (13). وسمي الفعل الأول شرطا، والثاني جزاءً، لإتيان الأول في صورة المسبب، والثاني في صورة المسبَّب (14).

ومهما كانت صيغة فعل الشرط وجوابه، فإن زمنهما لابد أن يتخلص للمستقبل المحض؛ ولابد أيضا، أن يكون

تحقق الجواب ووقوعه متوقفا على تحقق الشرط ووقوعه، ومعلّقا عليه، فإذا وقع الشرط، وقع ما تعلق عليه، وهو الجواب.

والذي يُدخل هاتين الجملتين في عداد أسلوب الشرط، هو الأداة التي تسبقهما.

وأدوات الشرط منها ما هو جازم، ومنها ما هو غير جازم، ومنها ما هو حرف، ومنها ما هو اسم.

وأولى أدوات الجزم " إن " بكسر الهمزة وسكون النون، وهي حرف باتفاق.

و "إنْ" بهذه الصيغة تأتي لبعض الأغراض غير الجزم، نوجزها فيما يلي:

1 – أن تكون نافية، عاملة أو مهملة (15)، وتدخل على الجملة الاسمية، كقوله تعالى: ﴿إن الكافِرُونَ إلاّ في غُرورٍ﴾(16)، وقوله ﴿إنْ هذا إلاّ سِحْرٌ مُبينٌ﴾(17). وقد تدخل على الأفعال فلا تؤثر فيها، كقوله تعالى :﴿ بَلْ إنْ يَعِدُ الظّالِمونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إلاّ غُرُوراً﴾ (18).وقد وردت في القرآن الكريم حوالي[115] مائة وخمس عشرة مرة(19).

2 – أن تكون مخففة من الثقيلة: فيجوز إهمالها، وهو كثير في لسان العرب، وحينئذ تلزمها اللام الفارقة بينها وبين " إن " النافية (20)، فنقول : إنْ زيدٌ لذاهبٌ، وإنْ عمرو لخيرٌ منك. وقد جاءت في القرآن الكريم حوالي [25]خمسا وعشرين مرة.

أما إعمالها فقليل (21)، وإذا أعملت لم تلزمها اللام، لأنها لا تلتبس، حينئذ؛ بالنافية، فنقول :إنْ زيداً منطلقٌ.

ودخولها، مخففة، على غير نواسخ الابتداء من الأفعال، قليل جدا، كقول عاتكة بنت زيد ترثي زوجها الزبير بن العوام، رضي الله عنه، وتدعو على قاتله:

شَلّتْ يَمِينُك إنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِماً

حَلّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ المُتعَمّد(22)

3 – أن تكون زائدة: وتسمى الوصلية، لأنها تصل الكلام بعضه ببعض لتقوية معناه وتوكيده (23). ومن أبرز خصائصها أن تبطل عمل « ما » الحجازية، فتدخل على الجملة الاسمية، كقول فروة بن مسيك:

فَما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ، ولكنْ

مَنَايَانَا وَدَوْلَةُ آخَرِينَا

وقد تدخل على الجملة الفعلية،كقول الشاعر:

مَا إنْ أَتَيْتُ بِشيْءٍ أَنْتَ تكرَهُهُ

إذَنْ فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إليَّ يَدي

وقد تزاد بعد "ما" الموصولة الاسمية، كقول جابر بن رألان الطائي الجاهلي:

يُرَجّي المرءُ مَا إنْ لايَرَاهُ

وَتَعْرِضُ دُونَ أَدْنَاهُ الخُطوبُ

أي : الذي لايراه؛ أو "ما" المصدرية، كقول المعلوط القريعي:

وَرَجَّ الفَتى للخير ما إنْ رَأَيْتَهُ

على السن خَيْراً لايزال يَزيدُ (24)

أو "ألا" الاستفتاحية؛ كقول الشاعر:

ألا إنْ سَرَى لَيْلي فَبِتُّ كَئِيباً

أُحَاذِرُ أَنْ تَنْأَى النَّوَى بِغَضُوبَا

وقد تزاد في مواضع نادرة الدوران.

4 – أن تكون فعل أمر من آنَ يئينُ، فنقول: إنْ يا وقتُ. ويقال : آنَ يَئِينُ، بمنزلة سار يسير، و"إنْ" بمنزلة سِرْ (25).

5 – قد تكون شرطية غير جازمة، وهي قليلة في فصيح الكلام، وتسمى "إنْ" التفصيلية (26)، ومثالها: من يزرعْ.

إنْ خيراً وإنْ شراًّ، يحصدْ ما زرع، فليس لها من الشرط إلا الاسم، لأنها غير جازمة ولا عاملة، وتفيد التفصيل ليس غير.

## إنْ الشرطية

كان الخليل يرى أنها أم حروف الجزاء، وعندما سأله سيبويه عن سر ذلك، أجابه بأن باقي حروف الجزاء قد يتصرفن فيكن استفهاما أحيانا (27)، ومنها ما تفارقه "ما" فلا يكون فيه الجزاء (28)، على حين تلازم " إن " حالا واحدة أبدا، لاتفارق الجزاء (29).

وقد أشار علماء النحو إلى بعض الأمور التي وافقت فيها "إن" ، أو فارقت أخواتها من أدوات الشرط، نلخصها فيما يلي:

### أمور توافق فيها "إنْ " باقي أدوات الشرط

1 – لا تدخل على الاسم، وتحتاج إما إلى فعلين مضارعين تجزمهما لفظا، إن كانا معربين، أو محلاً، إن كانا مبنيين.

– وإما إلى فعلين ماضيين يجزمان محلاً.

– وإما إلى فعلين مختلفين، يجزم المضارع منهما لفظا، والماضي محلاً.

– وإما إلى جملة اسمية تحل محل المضارع الثاني، وتكون في محل جزم.

2 – إذا وقع بعدها اسم، وهو الغالب في "إن" و "إذا" وجب تقدير فعل مناسب يفصل بينهما، كقوله تعالى: ﴿ إن امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ (30) و ﴿ إذا السَّماءُ انْشَقَّتْ﴾ (31). والتقدير: إن هلك امرؤ هلك، وإذا انشقت السماء انشقت، كما سنرى.

3 – لها الصدارة، فلا يصح أن يتقدم عليها شيء من جملتي الشرط أو الجواب، ولا متعلقاتهما، إلا إذا كان جواب الشرط مضارعا مرفوعا، كما يجيء أحيانا، كقولك: خيراً إنْ تزرع تحصدُ، برفع (تحصد).

4 – لا يصح حذفها.

5 – لاتدخل على "لا" الناهية، فإذا دخلت عليها صارت حرف نفي، بعد أن كانت حرف نهي، وصارت مهملة بعد أن كانت جازمة(32).

### أمور فارقت فيها "إنْ" أخواتها

1 – هي و"إذما" حرفان، وأخواتهما أسماء.

2 – يجوز فيها الجزم وعدمه إذا اتصلت "بما" الزائدة، على حين أن بعض أخواتها لا يجزم إلا إذا اتصل "بما" الزائدة، مثل: حيث، وإذ، وبعضها يمتنع اتصالها بها، وهو شرط جازم.

3 – من هذه الأدوات ما وضع للعاقل، فإذا تضمن معنى الشرط، صار أداة شرط، للعاقل، جازمة، وهو "مَنْ"، كقوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ولاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً ولاَ نَصِيراً﴾(33).

4 – منها ما وضع أصلا للدلالة على شيء لايعقل، فإذا تضمن معنى الشرط، صار أداة شرط، للعاقل، جازمة، وهو "ما" و "مهما". قال تعالى:﴿ومَا تُقَدمُوا لأنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تجِدُوهُ عِندَ اللهِ هو خَيْراً وأعْظَمَ أجْراً﴾(34)، وقول زهير:

وَمهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
وَإنْ خَالَها تَخْفَى على النّاس تُعْلَمِ

5 – منها ما هو للزمان المجرد في أصل وضعه، فإذا تضمن معنى الشرط جزم، وهو: متى، وأيان.

6 –منها ما وضع أصلا للمكان،وصار أداة شرط جازمة

إذا تضمن معنى الشرط، وهو: أين، وحيثما، وأنّى.

7 – منها ما يصلح لكل ما ذكر، وهو "أيّ".

8 – منها ما يختص إما بالأمر المتيقّن، أو المظنون، وهو "إذا" ، وإما بالمشكوك فيه، أو المستحيل، وهو باقي أدوات الشرط، والقرائن هي التي تعين ذلك.

9 – منها ما وضع لتعليق الجواب على الشرط بقصد الدلالة على وقوع الجواب وتحققه، بوقوع الشرط وتحققه، من غير دلالة على زمان، أو مكان، أو عاقل، أو غير عاقل، وهو "إن" و "إذما"، كقوله تعالى: ﴿وإنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾ (35)، وقول الشاعر:

وإنّك إذْ ما تَأْتِ ما أنْتَ آمِرٌ
بهِ، تُلْفِ مَنْ إيّاهُ تَأْمُرُ آتيَا

* * *

وسنشرع في الحديث عن "إنْ" الشرطية بالتفصيل من حيث خصائصها الأسلوبية التي تحمل دلالات بلاغية رائعة.

لقد وردت " إنْ " الشرطية في القرآن الكريم حوالي [571] إحدى وسبعين وخمسمائة مرة، مدغمة في " لا " خمس مرات، وفي " ما " ست عشرة مرة، ولها أحكام نحوية لم تسلم من خلاف في بعضها بين النحاة.

اختصت " إنْ " الشرطية بجواز أن يقع بعدها الاسم المرفوع الذي بعده فعل يفسر ذلك المحذوف في الاختيار. أما غير " إن " فلا يقع ذلك فيه إلا في الشعر (36). أي من بين الأدوات الجازمة ، وذلك لوقوعه بعد " إذا " و "لو ".

وقد ورد ذلك في القرآن خمس مرات في قوله تعالى:

– ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَجُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً﴾ (37).

– ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ (38).

– ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ (39).

– ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ﴾ (40).

– ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (41).

فالرفع في الآيات بعد "إنْ" بإضمار فعل يفسره ما بعده.

وقال الكوفيون : هو مبتدأ، وما بعده الخبر.

وقد خطّأه العكبري، لأن حرف الشرط لامعنى له في الاسم، فهو مناقض للفعل، ولذلك جاء الفعل بعد الاسم مجزوما في قول عدي:

ومتى واغل يُنْبِهُهُمْ يُحَيُّو
هُ ، وتُعْطَفْ عليه كأسُ الساقي (42)

وقد جاء هذا الاستعمال – أعني وقوع الاسم بعدها – مع " إذا " و " لو " الشرطيتين.

فقد وردت "إذا" في القرآن الكريم 423 مرة، كانت في 43 منها فجائية، وفي الباقي شرطية. ومن هذه الشرطية، وقع الاسم المرفوع بعدها 23 مرة، منها 12 مرة في سورة التكوير وحدها؛ وتلاها الفعل في باقي المرات، أي 380، كان فيها مضارعا نادراً، وماضيا مطرداً.

أما " لو " فقد جاءت في القرآن الكريم 201 مرة، وقع الاسم الصريح المرفوع بعدها في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً

لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإنْفَاقِ، وَكَانَ الإنْسانُ قَتُوراً﴾(43)؛ ووقع غير صريح 30 مرة، وتلاها الفعل إما ماضيا أو مضارعا في الباقي، أي 170 مرة(44).

وتستعمل "إن" للشك ولعدم القطع في الأشياء الجائز وقوعها وعدم وقوعها، فمخرجها الظن والتوقع فيما يخبر به المخبر، بخلاف " إذا " التي تجيء وقتا معلوما. فلو قلت : آتيك إذا احمرّ البُسْر، كان حسنا، ولو قلت : آتيك إن احمرّ البسر، كان قبيحا، لأنه واقع لا محالة، "فإنْ" أبدا مبهمة (45).

الأصل في "إنْ" أن تجزم فعلين مضارعين: أحدهما الشرط، والثاني الجزاء، وهو الكثير؛ مثل : ﴿ وَإنْ يَأْتوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾(46)،و ﴿ قُلْ إنْ تُخْفُوا ما في صُدوركُمْ أوتُبْدوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾(47)،و ﴿ وإنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾ (48).

وقد تدخل على ماضيين لفظا، مستقبلين معنى، فلا تؤثر فيهما لبنائهما، كقوله تعالى: ﴿ فَإنْ أَصَابَتْكُمْ مُصيبةٌ قَالَ قَدْ أنعَمَ اللهُ عَلَيّ إذْ لَمْ أكُنْ مَعَهُمْ شَهيداً﴾(49)، وقوله:﴿ إنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأنْفُسِكُمْ﴾ (50)،وقوله: ﴿وإنْ عُدْتُمْ عُدْنا﴾(51). فالماضي في هذه الآيات في موضع الجزم، وعلى معنى الاستقبال.

ودخولها على الماضي والمضارع في الكلام قليل، و لم يرد في القرآن منه شيء، فيبقى الماضي مبنيا، أما المضارع فقد قال أكثر النحويين إنه يكون مرفوعا، فلا تؤثر فيه، إذ لم تؤثر في الذي يليها، واستشهدوا على ذلك بقول زهير:

وإنْ أتاهُ خليلٌ يومَ مَسْألةٍ

يقول : لاغائبٌ مالي ولاحَرِمُ

برفع (يقول). والمقام لايقتضي الخوض في الخلافات والآراء الواردة في الموضوع.

وأقل منه دخولها على المضارع والماضي في الكلام، فتعمل في الأول لأنه مضارع، ولاتعمل في الثاني لبنائه، مستشهدين على ذلك بقول أبي زبيد الطائي:

مَنْ يَلِدْني بسَيّءٍ كنتُ منهُ

كالشّجا بين حَلْقِهِ والوَريد

و لم يرد منه شيء في القرآن الكريم، وجعلوا منه قوله تعالى (52): ﴿ إنْ نَشَأْ نُنَزلْ عليهِمْ مِنَ السّماءِ آيةً فَظَلّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَها خَاضِعِينَ﴾ (53) ، إذ جاء الماضي معطوفا على جواب الشرط المضارع المجزوم.

وقد يكون الشرط ماضيا، والجواب فعل أمر، وهو كثير، ولقوله تعالى : ﴿ فإنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ (54)،و﴿فإنْ كَذّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعةٍ﴾ (55). ولا بد من اقترانه بالفاء، كما سيأتي.

كما تدخل على الفعل المضارع المسبوق بلم، والجواب فعل أمر، كقوله تعالى: ﴿ فإنْ لَمْ تَفْعلوا، وَلَنْ تَفْعَلُوا، فاتّقوا النّارَ الّتي وَقُودُها النّاسُ والحِجارةُ﴾ (56)،و ﴿ فإنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ ورَسولِهِ﴾ (57).

ولاتدخل على فعل ماض في المعنى إلا على (كان) لكثرة استعمالها، وأنها لا تدل على حدث (58)، وقد تنوع الشرط والجواب مع الفعل الناسخ (كان):

الشرط والجواب ماضيان:

– ﴿ فإنْ كانَ لكُمْ فتحٌ مِن اللهِ قالُوا ألَمْ نَكُنْ معكُمْ وإنْ كان لِلْكافِرينَ نَصيبٌ قالوا ألَمْ نَسْتَحْوِذْ عليكُمْ ونَمْنَعْكُمْ منَ المؤمِنينَ﴾ (59).

الشرط ماض والجواب أمر:

– ﴿ وإنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمّا نَزّلْنا على عَبْدِنا فَأْتوا بسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾(60).

الشرط ماض والجواب جملة اسمية:

- ﴿وإنْ كانوا إخوةً رجالاً ونساءً فللذّكرِ مثلُ حظِّ الأُنْثيين﴾ (61).

الشرط مضارع والجزاء مثله:

- ﴿ وإنْ تكُ حسنةً يُضاعِفْها﴾ (62).

الشرط مضارع والجواب جملة اسمية:

- ﴿ إنْ تكونوا تألمُون فإنّهُمْ يألمُونَ كما تألمُونَ﴾ (63).

الشرط مضارع مجزوم، والجواب جملة اسمية:

- ﴿ فإنْ لمْ يكونا رجُلَيْنِ فرجُلٌ وامْرأتانِ﴾ (64)، أي : فالشاهد.

وقد جاء اقتران جوابها بالفاء كثيراً مستكملا جميع الحالات التي عرفها النحاة. فمثال ماكان فيه الجواب جملة اسمية مقترنة بالفاء، قوله تعالى: ﴿ وإنْ تولّوْا فإنّما هُمْ في شِقاقٍ﴾ (65)، و﴿ وإنْ تخالِطوهُمْ فإخوانُكُمْ﴾ (66)، أي فهم إخوانكم، ومنه: ﴿ قُلْ إنْ كانَ للرَّحْمنِ ولدٌ فأنا أوّلُ العابدينَ﴾ (67).

ومما كان فيه الجواب جملة طلبية مقترنة بالفاء، قوله تعالى: ﴿وإنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِما فابْعَثوا حَكَماً مِنْ أهْلِهِ وحَكَماً مِنْ أهْلِها﴾ (68)، و ﴿ فإنْ أمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فلْيُؤدِّ الّذي اؤْتُمِنَ أمانَتَهُ﴾ (69)، و﴿ وإنْ يَخْذُلْكُمْ فمَنْ ذا الّذي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾(70)،و﴿ وإنْ جاهَداكَ على أنْ تُشْرِكَ بي ما لَيْسَ لكَ بِهِ عِلْمٌ فلا تُطِعْهُما﴾(71).

وهكذا مع باقي الحالات والمواضع التي يقترن الجواب فيها بالفاء وجوباً، وهي:

- ﴿ إنْ تُبْدوا الصَّدقاتِ فَنِعِمّا هِيَ﴾(72) - الجواب فعل جامد.

- ﴿ فإنْ اعْتَزَلوكُمْ فلَمْ يُقاتِلوكُمْ وألْقَوْا إلَيْكُمُ السَّلَمَ فما جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبيلاً﴾(73) -مقترن "بما".

- ﴿ وإنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَمْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً﴾ (74)- الجواب مقترن "بلن".

- ﴿ فإنْ آمَنُوا بمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ (75)- مقترن "بقَدْ".

- ﴿ ولَكِنِ انْظُرْ إلى الجَبَلِ فإنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرَاني﴾ (76) - مقترن "بسوف".

- ﴿ وإنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرى﴾ (77). الجواب مقترن "بالسين".

هذه هي بعض خصائص أو حالات "إنْ" التي لاخلاف فيها، يذكر ، عند أهل العلم، وذلك إذا كان الشرط والجواب مذكورين، فهم يكادون يتفقون على معظم ما أوردنا.

أما الخلاف الذي دار بينهم حول "إنْ" ففي الحالات التي حذف فيها الجواب، أو قام مقامه كلام آخر، أو دخلت "إن" على استفهام، أو توسط الشرط بين "إن" وما عملت فيه، أو غير ذلك، وسنعرض لأحكامها دون أن نتعرض لهذا الخلاف إلا بما يقتضيه المقام.

### (1) حذف جواب الشرط مع "فإنْ"

كل ما جاء في القرآن من "فإن" فقد ذكر معه جواب الشرط، أو دليل الجواب قائما مقام الجواب، إلا في قوله تعالى: ﴿فإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً في الأرْضِ أوْ سُلَّماً في السّماءِ فَتَأْتِيَهُمْ بآيَةٍ﴾(78)، فقد حذف الجواب ههنا، وتقديره:( فافعلْ).

### (2) ذكر الجواب مع "أفإنْ"

ذكر الجواب مع "أفإنْ" في القرآن في آيتين هما:

ا – ﴿وَمَا مُحمّدٌ إلاّ رَسُولٌ قدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرّسُلُ أَفَإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ علَى أَعْقابِكُمْ﴾(80).

يرى يونس أن همزة الاستفهام دخلت في التقدير على (انقلبتم)، وهو ماضٍ، معناه الاستقبال، لأنه مقيد بالموت أو القتل، وجواب الشرط عنده محذوف، فتكون همزة الاستفهام دخلت في غير موضعها، لأن الغرض إنما هو: أتنقلبون على أعقابكم إنْ مات محمد؟ ودخلت إنْ هنا على المحقق، وليس من مظانها، لأنه أُورد مورد المشكوك فيه للتردد بين الموت والقتل (81).

إلا أن سيبويه يرى الهمزة في موضعها، والفاء تدل على تعلق الشرط بما قبله؛ وقد رجّح العكبري رأي سيبويه (82).

ب – ﴿وَمَا جَعَلْنا لِبَشرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ، أَفَإنْ متّ فهُمُ الخالِدُونَ﴾؟ (83)، حيث دخلت الفاء العاطفة على " إنْ " الشرطية، والجملة بعدها جواب الشرط، وقدمت الهمزة عليها، لأن الاستفهام له صدر الكلام، واعترض الشرط بينهما، فحذف جوابه. هذا مذهب سيبويه.

وزعم يونس أن تلك الجملة هي مصب الاستفهام، والشرط معترض بينهما، وجوابه محذوف.

وقال ابن عطية: وألف الاستفهام داخلة في المعنى على جواب الشرط. انتهى كلامه.

وفي هذه الآية دليل لمذهب سيبويه، إذ لو كان على ما زعم يونس لكان التركيب: أفإن مت فهم الخالدون؟ بغير فاء (84).

**(3) ما قام فيه دليل الجواب معها مقام الجواب**

وردت "إنْ" في بعض الآيات محذوفة الجواب، وقد قام دليل الجواب مقامه، في مثل:

1 – ﴿إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾(85)، فجواب الشرط محذوف، والتقدير: (فتأسوا)، فقد مسّ القوم قرح مثله، لأن الماضي معنى يمتنع أن يكون جوابا للشرط، ومن زعم أن جواب الشرط هو (فقد مسّ)، فهو ذاهل(86).

2 – ﴿فإنْ كذّبُوكَ فَقَدْ كُذّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾(87).

جواب الشرط، هنا، محذوف؛ لدلالة الكلام عليه. والتقدير: (فتَسَلَّ به)، ولايمكن أن يكون (فقد كذب رسل) الجواب، لمضيه ، إذ جواب الشرط مستقبل، لا محالة، لترتبه على المستقبل. وما قيل في مثل هذا إنه جواب الشرط،فهو على سبيل التسامح،لا الحقيقة (88).

3 – ﴿إنْ يَكُنْ غَنِيّاً أوْ فَقيراً فَاللهُ أوْلَى بِهِمَا﴾(89).

الجواب هنا محذوف:وتقديره: (فليشهد عليه)؛ لأن الضمير يفرد إذا عطف "بأو"، فلا يثنّى. أما إذا كانت " أو " بمعنى " الواو "؛ كان الجواب:فالله أولى بهما(90).

4 – ﴿وإنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بضُرٍّ فَلاَ كاشِفَ لَهُ إلاّ هُوَ؛ وإنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ علَى كُلِ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ (91).

جاء جواب الشرط الأول بالحصر في قوله : (فلا كاشف له إلا هو) مبالغة في الاستقلال بكشفه. وجاء جواب الثاني بقوله:(فهو على كل شيء قدير) دلالة على قدرته على كل شيء. ولو قيل: إن الجواب محذوف لدلالة الأول عليه، لكان وجهاً حسنا. وتقديره: فلا موصل له إليك إلا هو، أو فلا رادّ له. وفي قوله:(فلا كاشف له إلا هو) تقديره : فلا كاشف له عنك إلا هو(92).

5 – ﴿وإنْ يَعُودُوا فقدْ مَضَتْ سُنّةُ الأَوّلِينَ﴾ (93).

قيل:جواب الشرط:(فقد مضت سنة الأولين).

قال أبو حيان: ولا يصح ذلك على ظاهره؛ بل ذلك

دليل على الجواب، والتقدير: وإن يعودوا انتقمنا منهم وأهلكناهم، فقد مضت سنة الأولين في أنا انتقمنا منهم وأهلكناهم(94).

6 – ﴿إلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ﴾ (95).

في الآية انتفاء النصر بأي طريق كان من نفر أو غيره. وجواب الشرط محذوف ، تقديره: (فسينصره)، ويدل عليه ( فقد نصره الله )، أي: ينصره في المستقبل، كما نصره في الماضي.

7 – ﴿يا قَوْمِ إنْ كانَ كَبُرَ عليكُمْ مَقامِي وتَذْكِيري بآياتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكَاءَكُمْ﴾(96).

الجواب محذوف؛ وتقديره: (فافعلوا ما شئتم). وقيل: هو (فعلى الله توكلت)، و (فأَجْمِعُوا) معطوف على الجواب، وهو لايظهر لأنه متوكل على الله دائما. وقال الأكثرون: الجواب (فأَجْمِعُوا)، و (فعلى الله توكلت) جملة اعتراضية بين الشرط وجزائه (97).

8 – ﴿وقَالَ مُوسَى إنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ ومَنْ في الأَرْضِ جميعاً فإنّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (98).

جواب ( إن تكفروا ) محذوف لدلالة المعنى عليه. والتقدير: فإنما ضرر كفركم لاحق بكم، لأن الله غني حميد سواء آمنتم ومن في الأرض أو كفرتم جميعا، فهو متصف بالغنى المطلق والحمد في حالتي كفرهم وشكرهم (99).

9 – ﴿فإنْ تَوَلَّوْا فإنّما عَلَيْكَ البَلاغُ المُبِينُ﴾ (100).

الفاء ومابعدها جواب الشرط صورة، والجواب حقيقة محذوف، أي:فأنت معذور،إذ أديت واجبك، فأقيم سبب العذر،وهو البلاغ،مقام المسبب لدلالته عليه (101).

ومثل هذا في القرآن كثير، وعلى مثل هذا التقدير، كقوله تعالى: ﴿فإنِ انْتَهَوْا فإنَّ اللهَ غَفورٌ رحيمٌ﴾ (102)، إذ ليس اتصافه : سبحانه، بالمغفرة والرحمة، بسبب انتهائهم؛ وقوله : ﴿فإنْ تَوَلَّوْا فإنَّ اللهَ عَليمٌ بالمُفْسِدينَ﴾ (103)، فليس علمه بالمفسدين، أو غيرهم، مرتبطا بقولهم. ومنه قوله تعالى: ﴿وإنْ يُكَذِّبوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قومُ نُوحٍ وعادٌ وثَمودُ﴾ (104)، والتقدير: وإن يكذّبوك فاصبر، أو فلا تجزع، أو فتسلّ، أو ما أشبه هذا المعنى، فقد كذبت قبلهم أقوام أخرى.

### ( 4 ) دخول اللام الموطئة للقسم عليها وسد جواب القسم مسد جواب الشرط

1 – قد تدخل على "إنْ" اللام الموطئة والمؤذنة بالقسم، فتشعر بقسم مقدّر قبلها، لذلك يبنى ما بعد الشرط من الجواب على القسم، لا على الشرط، كما في قوله تعالى: ﴿ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الّذي جاءكَ منَ الْعِلْمِ ما لَكَ منَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ ولاَ نَصيرٍ﴾ (105)، والذي يؤيد ذلك عدم دخول الفاء على "ما" التي تقتضيها، في قوله تعالى (ما لك)، وكان فعل الشرط ماضيا في اللفظ، لأن جوابه محذوف يدل عليه جواب القسم، والاستغناء بجواب القسم أولى ، لأن له صدر الكلام(106).

2 – ﴿ولَئِنْ أَتَيْتَ الّذينَ أُوتُوا الكِتابَ بكُلِ آيةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ، وما أَنْتَ بتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ، وما بعضُهُمْ بتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ، ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جَاءكَ منَ الْعِلْمِ إنَّكَ إذاً لَمِنَ الظّالِمينَ﴾ (107).

وهذه اللام ليست لازمة، بدليل قوله تعالى: ﴿وإنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الذينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ (108). ( ليمسن) جواب قسم محذوف، سد مسد

جواب الشرط الذي هو (وإن لم ينتهوا) (109).

وما تبعوا بمعنى (لا يتبعوا)، فهو ماض في معنى المستقبل، ودخلت "ما" حملا على لفظ الماضي، لأنه إذا كان الجواب محذوفا، وجب مضي فعل الشرط لفظا إلاّ في ضرورة الشعر، فقد يأتي مضارعاً.

وذهب الفراء إلى أنّ "إنْ" هنا بمعنى "لو"، ولذلك كانت "ما" في الجواب ، فجعل (ما تبعوا) جوابا، لأن " إنْ " بمعنى " لو "، فكما أنّ " لو " تُجاب "بما"، كذلك أُجيبت "إنْ" التي بمعنى "لو".

وقد رده العكبري لأن " إنْ " للمستقبل و "لو " للماضي، كما رده أبو حيان، لأن الفراء بنى ذلك على مذهبه الذي يجيز فيه أن يكون الجواب للشرط مع تقدم القسم، وأنّ استعمال "إنْ" بمعنى " لو " قليل، فلا ينبغي أن يحمل على ذلك إذا ساغ إقرارها على أصل وضعها.

وخلاصة ذلك أنّ في ( ما تبعوا ) قولين: إنها جواب قسم محذوف، وهو قول سيبويه. والثاني: إنّ ذلك جواب " إنْ " لإجرائها مجرى " لو "، وهو قول الأخفش، والفراء، والزجاج(110).

ودخول اللام الموطئة هذه على " إنْ " في القرآن كثير.

أما حذف اللام فهو قليل. ومما حذفت منه اللام قوله تعالى: ﴿وإنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ (111)، فجواب "إنْ" محذوف، لأنّ ( لننصرنكم ) جواب القسم المحذوف.

ومما لم تدخل فيه الفاء على " ما " التي تقتضيها ، قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أنا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾ (112)، فإنّ ( ما أنا بباسط) جواب القسم لتقدم القسم، بدليل عدم اقترانه بالفاء بعد " ما " التي تقتضيها (113).

3 – ﴿وإنْ أطعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (114).

حذفت اللام الموطئة، وحذف القسم، وسد جوابه مسد جواب الشرط الذي هو ( وإن أطعتموهم) ، لأن الجواب للسابق منهما، والتقدير : والله إن أطعتموهم إنكم لمشركون.

4 – ﴿ قَالاَ رَبَّنا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وإنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (115). (لنكونن) جواب قسم محذوف قبل " إنْ "، كما حذفت اللام. والتقدير: والله إن لم تغفر لنا لنكونن من الخاسرين(116).

**(5) حذف جواب الشرط لدلالة ما قبله عليه**

ورد، كثيرا، حذف جواب الشرط، لدلالة كلام قبله عليه، فمن ذلك:

1 – ﴿ قالوا سَمِعْنَا وعَصَيْنَا وأُشْرِبوا في قُلوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِمْ، قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (117).

التقدير: إن كنتم مؤمنين، فبئسما يأمركم به إيمانكم. وقيل: التقدير: إن كنتم مؤمنين فلا تقتلوا الأنبياء، ولا تكذبوا الرسل، ولا تكتموا الحق، وتقدير الحذف الأول أولى وأقوى.

2 – ﴿ قُلْ إنْ كانتْ لَكُمُ الدّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خالِصَةً مِنْ دونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا الموتَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (118).

أي: إن كنتم صادقين فتمنوا الموت، فعلق التمني على شرط مفقود، وهو كونهم صادقين، إذ ليسوا صادقين في أن الجنة خالصة لهم من دون الناس، فلا يقع منهم تمني الموت (119).

3 – ﴿ ولاَيَزالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إنِ اسْتَطاعُوا﴾ (120).

(فاستطاعوا) شرط محذوف الجواب يدل عليه ما قبله. والتقدير: إن استطاعوا فلا يزالون يقاتلونكم. ومن جوز تقديم جواب الشرط قال:(ولا يزالون)هو الجواب(121).

4 – ﴿ولاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أنْ يَكْتُمْنَ ما خلَقَ اللهُ في أرْحامهنّ إنْ كُنّ يُؤْمِنّ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾ (122).

فجواب الشرط محذوف يدلّ عليه ما قبله، ويقدر من لفظه، أي: إنْ كنّ يؤمنّ بالله واليوم الآخر فلا يحل لهن ذلك.والمعنى: إن من اتصف بالإيمان لا يقدم على ارتكاب ما لا يحل له، وعلق ذلك على هذا الشرط، وإن كان الإيمان حاصلاً لهن، إيعاداً وتعظيماً للكتم(123).

5 – ﴿ قَدِ افْتَرَيْنا على اللهِ كَذِباً إنْ عُدْنَا في مِلّتِكُمْ بَعْدَ إذْ نَجّانَا اللهُ مِنْها﴾ (124).

فهذا إخبار مقيّد من حيث المعنى بالشرط، وجواب الشرط محذوف من حيث الصناعة؛ وتقديره: إن عدنا في ملّتكم فقد افترينا على الله كذبا، وليس قوله (قد افترينا على الله كذبا) هو جواب الشرط إلا على مذهب من يجيز تقديم جواب الشرط على الشرط.

وجوزوا في هذه الآية وجهين: **أحدهما**: أن يكون إخباراً مستأنفا فيه معنى التعجب، كأنهم قالوا: ما أكذبنا على الله إن عدنا في الكفر بعد الإسلام. **والثاني** أن يكون قسما على تقدير حذف اللام، أي: والله لقد افترينا(125).

6 – ﴿ إنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهادًا في سَبِيلي وابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ (126).

فجواب الشرط محذوف لدلالة ما تقدم عليه، وهو قوله:﴿ لاَتَتّخِذُوا عَدُوّي وعَدُوّكُمْ أوْلِيَاء تلْقونَ إلَيْهِمْ بِالْمَوَدّةِ﴾ (127).

## (6) دخول "إنْ" على "لَمْ"

كثيرا ما يقع الفعل المضارع المجزوم "بلم" شرطاً "لإنْ" في مثل قوله تعالى:

1 – ﴿ فإنْ لم تَفْعَلُوا، ولَنْ تَفْعَلُوا، فاتّقُوا النّارَ التي وَقُودُها النّاسُ والحجارَةُ أُعِدّتْ لِلْكافرينَ﴾ (128).

الجمهور على أنّ الجزم "بلمْ" لا "بإنْ"، لأنّ "لَمْ" عامل شديد الاتصال بمعموله، و لم يقع إلا مع الفعل المستقبل في اللفظ، أي أنه مختص، و"إنْ" قد دخلت على الماضي في اللفظ، وقد وليها الاسم، كقوله تعالى: ﴿وإنْ أحَدٌ منَ المشركينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ (129)، وجواب الشرط هو ( فاتقوا ).

فإن قيل: كيف دخلت "إنْ" على "لمْ"، ولا يدخل عامل على عامل؟ فالجواب أنّ "إنْ" ههنا غير عاملة في اللفظ، فدخلت على " لمْ" كما تدخل على الماضي، كما أشرنا، لأنها لاتعمل في "لمْ" كما لاتعمل في الماضي؛ فمعنى ( إن لم تفعلوا) هو: إن تركتم الفعل(130).

2 – ﴿ فإنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ ورَسولِهِ﴾ (131).

3 – ﴿ فإنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وامْرأتان﴾ (132).

4 – ﴿فإنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ (133).

## (7) وقوع «إنْ» جواباً «لإنْ»

### اجتماع شرطين

كان ورود ذلك قليلا. فمن ذلك:

1 – ﴿وإنْ كان كَبُرَ عَلَيْكَ إعْراضُهُمْ فإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً في الأرضِ أوْ سُلّماً في السَّماء فَتَأْتِيَهُمْ بآيَةٍ﴾ (134).

جواب "إنْ" الأولى (فإن استطعت)، فالشرط الثاني جواب الأول، وجواب الشرط الثاني محذوف، كما ذكرنا، تقديره: فافعلْ، وحُذف لظهور معناه وطول الكلام.

2 – ﴿وقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (136).

علق توكلهم على شرطين: متقدم ومتأخر، ومتى كان الشرطان لا يترتبان في الوجود، فالشرط الثاني شرط في الأول؛ فمن حيث هو شرط فيه، يجب أن يكون متقدماً عليه، وإذا حصل هذان الشرطان، وهما الإيمان والإسلام، فوّض المرء جميع أمره إلى الله. وأدخل "إنْ" على فعلي الشرط، وإن كانت في الأغلب إنما تدخل على غير المحقق مع علمه بإيمانهم، على وجه إقامة الحجة والإثارة، كما سيأتي(137).

3 – ﴿وَلاَ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ (138).

حكم الشرط إذا دخل على الشرط أن يكون الثاني والجواب جوابا للشرط الأول، كما مرّ، كقولك: إنْ أتيتني ، إن كلّمتني أكرمتك؛ فقولك: إنْ كلمتني أكرمتك، جواب إن أتيتني، وإذا كان كذلك صار الشرط الأول في الذكر مؤخراً في المعنى، حتى لو أتاه ثم كلّمه، لم يجب الإكرام، ولكن إن كلّمه ثم أتاه، وجب إكرامه، وعلة ذلك أن الجواب صار معوقا بالشرط الثاني (139).

4 – ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ (140).

ههنا شرطان: فشرط الإحلال هبتها نفسها، وشرط الهبة إرادة استنكاح النبي. والمعنى: أحللناها لك إن وهبت لك نفسها، وأنت تريد أن تستنكحها، لأن إرادته هي قبول الهبة، وما به تتم. وهو شبيه ما ورد في الآية السابقة. فإذا اجتمع شرطان، فالثاني شرط في الأول، متأخر في اللفظ، متقدم في الوقوع ما لم تدل قرينة على الترتيب، نحو: إن تزوجتك، أو طلقتك فعبدي حرّ. واجتماع الشرطين مسألة فيها خلاف(141).

### (8) وقوع "إذَا" في جواب "إنْ"

1 – ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (142).

فجواب الشرط الأول لا يلزم أن يقارنه ولا أن يعتقبه، بل يجوز أن يتأخر، نحو : إنْ اسلمت دخلت الجنة، وإنما يقتضي مطلق الترتب.

وأما جواب الشرط الثاني فجاء "بإذا" الفجائية، وأنه إذا لم يُعْطوا فاجأ سخطهم، و لم يمكن تأخره لما جُبلوا عليه من محبة الدنيا والشره في تحصيلها(143).

2 – ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (144).

– "إذا هم" جواب "وإن لم يُعْطَوْا" و"وإنْ تُصِبْهُمْ" يقوم مقام الفاء في الجملة الاسمية الواقعة جوابا بالشرط(145).

### (9) سبق "إنْ" "بأمّا" الشرطية

إذا اجتمع شرطان كان الجواب للسابق منهما، وجواب الثاني محذوف، ولذلك كان فعل الشرط ماضي اللفظ أو مصحوبا "بلم" وأغنى عنه جواب "أما" (146)، في مثل قوله تعالى:﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ (147).

## (10) توسط الشرط بين كلام
## وتوسط كلام بين الشرط والجزاء

1 – قد يتوسط الشرط بين "إنّ" وما عملت فيه، ويكون خبر "إنّ" هو جواب الشرط في المعنى؛ ويقع بعده في قوله تعالى :﴿ قالُوا ادْعُ لَنا ربَّكَ يُبيِّنْ لنا مَا هِيَ إنَّ البَقَرَ تشابهَ علينا وإنّا إنْ شاءَ اللهُ لَمُهْتدُونَ﴾ (148).

فالشرط هنا هو (شاء) في موضع جزم، وجوابه، عند سيبويه، "إنّ" وما عملت فيه، والذي جوز ذلك توسط الشرط، وتقدير الكلام: إن شاء الله هدايتنا اهتدينا، والمفعول محذوف،وهو (هدايتنا )، أو: إنا لمهتدون إن شاء الله؛ وقدم الشرط على ذكر الاهتداء اهتماماً به، وليحصل توافق رءوس الآي.

وقال المبرد: الجواب محذوف دلت عليه الجملة، لأن الشرط معترض، فالنية به التأخير، فيصير كقولك: أنت ظالم إن فعلت. وهو محذوف أيضا عند أبي حيان(149).

2 – ومن توسط الشرط قوله تعالى:﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتالُ ألاّ تُقاتِلُوا﴾(150).

فجواب الشرط الذي هو (إن كتب عليكم القتال) محذوف للدلالة عليه، وتوسط الشرط بين أجزاء الدليل على حذفه(151)، كما توسط في قوله تعالى: ﴿ وإنّا إنْ شاءَ اللهُ لَمُهْتدونَ﴾.

3 – ومما توسط فيه كلام بين الشرط وجزائه قوله تعالى: ﴿ فإمّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أحَداً فَقُولي إنّي نَذَرْتُ للرّحْمَنِ صوْماً﴾(152).

فبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليها المعنى، والتقدير: فإما ترين من البشر أحداً وسألك، أو حاورك الكلام، فقولي.

4 – ومن توسط الكلام المذكور بين الشرط والجزاء قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النّبيُّ قُلْ لأزْواجكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدُّنيا وَزينَتَها فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَميلاً﴾ (153).

(فتعالين) جملة معترضة بين الشرط وجزائه، ولا يضير دخول الفاء على جملة الاعتراض، كما في قول الشاعر:

واعلم- فعلم المرء ينفعه-

أن سوف يأتي كل ما قدرا(154)

5 – ومثله قوله تعالى: ﴿ فإنْ لَمْ تَفْعَلُوا، ولَنْ تَفْعَلُوا، فاتّقُوا النّارَ الّتي وَقُودُهَا النّاسُ والحِجارَةُ﴾ (155).

## (11) نيابة الاستفهام عن جواب الشرط

قد يحذف جواب الشرط مع الاستفهام، وينوب هذا عنه ويدل عليه في مثل:

1 – ﴿ قُلْ أرَأَيْتَكُمْ إنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللهِ أوْ أتَتْكُمْ السّاعةُ أغَيْرَ اللهِ تَدْعونَ إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ﴾ (156).

فجواب الشرط ما دلّ عليه الاستفهام في قوله ( أغير الله)، وتقديره: إن أتتْكُمْ الساعة دعوتم الله(157).

2 – (قُلْ أرَأَيْتَكُمْ إنْ أتاكُمْ عَذابُ اللهِ بَغْتَةً أوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إلاّ القَوْمُ الظّالِمونَ﴾ (158).

الاستفهام هنا بمعنى التقرير، فلذلك ناب عن جواب الشرط، والتقدير: إنْ أتاكم هلكتم(159).

3 – ﴿ قُلْ أرَأَيْتُمْ إنْ أتاكُمْ عَذابُهُ بَيَاتاً أوْ نَهاراً ماذا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (160).

فجواب الشرط محذوف، وليس هو ( ماذا يستعجل منه المجرمون) ، لأن جواب الشرط إذا كان استفهاما فلا بد فيه من الفاء، تقول: إنْ زارني فلان فأيّ رجل هو؟ ولا يجوز حذفها إلاّ في ضرورة(161).

4 – ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ (162).

فالجواب في هذا الاستخبار محذوف، والتقدير: فإنهم سيقولون لا تقدر على شيء من ذلك(163).

5 – ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (164).

الجواب محذوف. تقديره: فقد ضللتم ، ولذلك جاء فعل الشرط ماضياً(165).

وقد جاءت (أرأيت) في هذه الآيات بمعنى (أخبرني ).

وقد اختار أبو حيان في الآيات (1–3) وأمثالها أن يكون الفعل ( أرأيت ) قد تنازع العمل مع فعل الشرط، وأعمل فعل الشرط، وجملة الاستفهام هي المفعول الثاني ( لأرأيت )، وجواب الشرط محذوف، كما بيّنا(166).

كما يرى أنه قد حذف جواب الشرط وذُكر المفعولان في [4]، وحذف جواب الشرط والمفعول الأول ( لأرأيت ) في [5] (167).

### (12) "إنْ" المدغمة في "لا" و"ما"

وردت "إنْ"مدغمة في "لا" في خمسة مواضع من القرآن الكريم، لم تخرج فيها عن عمل الجزم ، و لم تستقل بحكم ما عن أحكامها العامة، وهذه الآيات هي:

1 – ﴿ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (168).

2 – ﴿ إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (169).

3 – ﴿ إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ﴾ (170).

4 – ﴿ وَ إِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (171).

5 – ﴿ وَ إِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ (172).

أما مع " ما " فقد جاءت مدغمة [16] ست عشرة مرة، موزعة بين [13] ثلاث عشرة سورة، بغرض زيادة توكيد الكلام، وقع الخلاف بين النحاة في النون التي تدخل على الفعل بعدها، والميم التي تليها، أما أحكام الشرط معها فلم يطرأ عليها تغيير يذكر.

1 – ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (173).

لقد وليها هنا شرط، فالشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الأول. وهو مثل قولهم: إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك(174).

2 – ذكرنا أنه قد يحذف كلام بين الشرط والجزاء لدلالة المعنى عليه، في مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أَحَداً فَقُولِي﴾ (175)، تحت عنوان ( توسط كلام بين الشرط والجزاء)، فيمكن الرجوع إليه.

3 – قد يحذف جواب "إمّا" لدلالة المعنى عليه، في مثل قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾ (176).

والتقدير : فيقر عينك، ولايصح أن يكون (فإلينا يرجعون ) جوابا، للمعطوف عليه والمعطوف(177).

4 – ذهب ابن عطية إلى أنه يلزمها النون الثقيلة في الأغلب: وقد لاتلزم، كقول الشاعر:

إمّا يُصِبْكَ عَدُوٌّ في مُناوَأةٍ

إلاّ أنّ أبا حيان قال: هذه مسألة فيها خلاف: ذهب بعض النحويين أنها إذا زيدت بعد "إنْ" "ما" لزمت نون التوكيد، ولايجوز حذفها إلا في ضرورة، في مثل قوله

تعالى: ﴿ وَإِمّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالمِينَ﴾(178).

وذهب بعضهم أنها لا تلزم، وأنه يجوز في الكلام، وتقييده الثقيلة ليس بجيد، بل الصواب النون المؤكدة، سواء كانت ثقيلة أم خفيفة، وكأنه نظر إلى مواردها في القرآن، وكونها لم تجئ فيها بعد "إما" إلا الثقيلة(179).

وقال الزمخشري: إذا أفردت " إنْ " لايصح دخول النون المؤكدة في الفعل، فلا تقول: إن تكرمنَّ زيدا يكرمك، ولكن إمّا تكرمنّه(180).

5 – إذا جاءت "مَنْ" بعدها في مثل قوله تعالى: ﴿يا بَنِي آدمَ إمّا يأتِيَنّكُمْ رسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتي فَمَنِ اتّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (181)، فتحتمل وجهين:

(أ) أن تكون شرطية، وجوابها (فلا خوف عليهم)، وتكون هذه الجملة الشرطية مستقلة بجواب الشرط الأول من جهة اللفظ.

(ب) أن تكون موصولة، فتكون هذه الجملة والتي بعدها من قوله تعالى :﴿والّذينَ كَذّبُوا بآياتِنَا واسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فيها خَالِدُونَ﴾(182) بمجموعهما هو جواب الشرط.

فعلى هذا، الغرض منها التقسيم، وجُعل القسمان جوابا للشرط ، أي: إما يأتينكم، فالمتقون لاخوف عليهم، والمكذبون أصحاب النار، إذ هذا كله ثمرة إتيان الرسل وفائدته(183).

إلا أن ابن خروف قال: أجاز سيبويه الإتيان "بما" وأن لا يؤتى بها، والإتيان بالنون مع "ما" وأن لا يؤتى بها (184)، فقال: إن شئت لم تقحم النون، كما أنك إن شئت لم تجيء "بما"، يعني مع النون وعدمها(185).

### (13) بعض آيات اختُلِف في معنى « إنْ » فيها

اختلف النحاة حول بعض آيات بين الشرطية وغيرها، وإن كان جانب الشرطية يترجح فيها أو في بعضها، ومن هذه الآيات:

1 – ﴿وَإنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمّا نَزّلْنا على عَبْدِنا فَأْتُوا بسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾(186).

قيل: إنها شرطية، وقيل : هي بمعنى "إذ"، وقيل: بمعنى "إذا"، والراجح أنها شرطية(187)، و(كان) معها ليست ماضية المعنى واللفظ، كما مر، لأن " إنْ " لاتدخل على فعل ماض في المعنى، إلا على كان لكثرة استعمالها، وأنها لاتدل على حدث، و لم تخلصه " إن " للاستقبال، وإن كان الريب وقعوا فيه حقيقة، كما زعموا، بل أخرج هذا الشرط في صورة المستقبل، أي هو مما يعرض وقوعه، وإن كان لا يمكن وجوده(188).

2 – ﴿وادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (189).

قيل: إنها جاءت في موضع "إذا"، وذلك كما يقول القائل: إن غَلبتُك لم أبق عليك، وهو يعلم أنه غالب، وذلك على سبيل التهكم، أوأنه أتى "بأن" على حسب ظنهم (190).

3 – ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (191).

قيل: إنها نافية، أي: ماكنتم مؤمنين، لأن الإيمان لا يجامع قتل الأنبياء. والأظهر أنها شرطية، والجواب محذوف ، تقديره: فلم فعلتم ذلك؟(192).

4 – ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا في قُلُوبِهِمُ العِجْلَ

بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (193).

قيل:إنها نافية. وقيل: شرطية، وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله.

5 – ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾(194).

قال الفراء والأخفش: " إنْ " هنا بمعنى " لو "، فلذلك كانت "ما" في الجواب ، فخالفه سيبويه، كما استبعده العكبري، لأن " إنْ " للمستقبل، و "لو " للماضي(195).

6 – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (196).

قيل: إنها بمعنى " إذْ " ، وهو قول كوفي، وضعّفه أبو حيان، وقال: إنه شرط، الغرض منه التثبت و هزّ النفوس(197).

7 – ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (198).

قيل: إنها بمعنى " إذ "، وهو ضعيف(199)، كما لايخفى.

8 – ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (200).

قيل: إنها بمعنى "إذْ"(201).

9 – ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(202).

قيل: إنها بمعنى "إذْ". قال ابن عطية: وهذا مردود، لايعرف في اللغة(203).

10 – ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(204).

قيل: هي بمعنى "إذ". وقيل: هي باقية على شرطيتها(205).

11 – ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (206).

قيل: هي بمعنى "إذ"، أي: إذ كنتم عقلاء(207).

12 – ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ (208).

قيل: هي بمعنى "إذ"، وهو قول مرغوب عنه(209).

13 – ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾(210).

قيل: إنها نافية.

14 – ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (211).

قيل: هي نافية؛ أي:ماكنت تقيا بدخولك عليّ ونظرك إليّ (212).

15 – ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (213).

قيل: هي بمعنى "لو"، وقيل: بمعنى "ما". أي ما كنا فاعلين، مثل:(إن أنت إلا نذير)،أي: ما أنت إلاّ نذير. و"إنْ" بمعنى الجحد، وتم الكلام عند قوله:(لاتخذناه من لدنا). وقيل: إنه على معنى الشرط، أي: إن كنا فاعلين ذلك، ولكنا لسنا بفاعلين ذلك، لاستحالة أن يكون لنا ولد(214).

16 – ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (215).

قيل: هي "إنْ" النافية، أي: ماكان للرحمن ولد، فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد(216).

17 – ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ (217).

قيل: إنها زائدة، أي : في الذي مكّناكم(218).

18 – ﴿ فذكِّرْ إنْ نفعت الذِّكْرى﴾ (219).

قيل: "إنْ" بمعنى "إذْ"، كقوله : ﴿ وأنْتم الأعْلَوْن إنْ كنْتمْ مُؤْمنين﴾. أي: إذْ كنتم. لأنه لم يخبر بكونهم الأعلون إلاّ بعد إيمانهم(220). وقيل: هي بمعنى "قد" في هذه الآية والتي قبلها، أي: (فذكر قد نفعت، وقد مكناكم) (221).

## أغراض "إنْ" الشرطية البلاغية

لقد استعرضنا بعض نماذج "إنْ" الشرطية النحوية القرآنية، ووقفنا على الحالات والأوضاع المختلفة التي جاءت فيها، و لم تكن هذه الصيغ إلا لتقدم غرضا بلاغيا رائعا، تتناسب عظمته وروعته وعظمة القائل.

إن المتتبع لهذه الأغراض البلاغية "لإنْ" الشرطية، واستقصاء حالات جواب الشرط المختلفة، يجد نفسه أمام دوحة عظيمة، ذات كمّ ضخم من هذه الأغراض، إذ إن الغاية تؤخذ من جواب الشرط، لا من الشرط.

وإذا قلنا: الغرض من الشرط كذا، فإننا نقصد بذلك أسلوب الشرط بصورة عامة.

لقد انقسمت المحاور التي دار حولها جواب الشرط إلى خمسة أقسام ، وسنعرض للغرض البلاغي الواحد مرتبطا بهذه المحاور، لنرى أكثرها توظيفا وأوسعها انتشاراً. وهذه المحاور هي:

ا – إذا كان الجواب بلفظ الأمر الصريح. أو في حيز الأمر، أو أمرا محذوفا على رأي من لا يرى تقدمه، ويدل عليه الكلام، أو كان متقدما على الرأي الآخر.

**ب** – إذا كان الجواب في حيز الاستفهام.

**ج** – إذا كان الجواب في حيز القسم.

**د** – إذا كان الجواب في حيز النهي.

**هـ** – إذا كان الجواب عاديا خارجا عن الحالات السابقة، سواء أكان إيجابا أم نفيا. وفيما يلي بعض النماذج لبعض الأغراض. على سبيل المثال، لا الحصر.

### 1 – التهكم والتعجيز

جاء جواب الشرط مع "إن" في حيز الأمر كثيرا، وأقل منه مع الاستفهام والقسم، لأداء الغرض المذكور. وفيما يلي أمثلة لذلك:

*** الأمر :**

– ﴿ وإنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مّما نزّلْنا على عبْدِنا فأْتوا بسُورةٍ منْ مثْله وادْعُوا شُهداءَكُمْ منْ دون الله إنْ كُنْتُمْ صادقين﴾ (222).

فقد أخرج الشرط في صورة المستقبل، أي مما يعرض وقوعه، وإن كان لا يمكن وجوده، على سبيل التهكم والتعجيز ممن هم في ريب من المنزّل. فالتعجيز في قوله (فأتوا)، والتهكم في (وادعوا شهداءكم). وقد جاء "بإنْ" في موضع "إذا" تهكما. كقول القائل: إن غلبتك لم أبق عليك. وهو يعلم أنه غالب (223).

– ﴿ قال إنْ كُنْتَ جئْتَ بآيةٍ فأْتِ بها إنْ كُنْتَ منَ الصّادقين﴾ (224).

فالغرض من الأمر التعجيز والاختبار في طلب فرعون، بروز الآية. من موسى عليه السلام.

– ﴿ قلْ فأْتوا بكتابٍ منْ عنْد الله هو أهْدى منْهُما أتّبعْهُ إنْ كُنْتمْ صادقِينَ﴾ (225).

فالتعجيز في ( فأتوا بكتاب ).

﴿ فإنْ كانَ لكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ (226).

*** الاستفهام:**

–﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلونَ أنْبياءَ الله مِنْ قَبْلُ إنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ﴾(227).

والمعنى: ماكنتم مؤمنين، لأن من قتل أنبياء الله لايكون مؤمنا، لأن الإيمان لا يجامع قتل الأنبياء؛ أي: إن كنتم مؤمنين فلم فعلتم ذلك؟ وهو كقولك لمن بدا منه ما لا يناسبه: فعلت كذا وأنت عاقل بزعمك؟ (228) على سبيل التهكم والاستهزاء.

*** القسم:**

القسم هو الحَلِف. وسمي قسما لأنه يكون عند انقسام الناس مابين مصدق ومكذب، فكأن الحالف أو المُقْسِم يقوّي القِسْمَ الذي يختاره، ويؤكد الأمر المقسم عليه. فالغرض العام من القسم هو التوكيد الذي يحمل، أحيانا، أغراضا بلاغية منها التهكم والتعجيز والتحدي.

– ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ على أَنْ يَأْتوا بِمِثْلِ هذا القُرْآنِ لا يَأْتونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (229).

فقد اختلفت الأساليب الفصيحة ههنا مع "إنْ" إلا أنها اتحدت في الغرض، وهو التهكم والتعجيز من تلك الفئة التي تشاقق الله ورسوله في كل مكان وزمان، وتبتغي إخماد صوت الحق وإطفاء نور الله.

**2 – المبالغة في التهديد والوعيد**

لقد كثرت أساليب الوعيد للمعاندين السادرين في غيّهم الذين أخذتهم العزة بالإثم، تناشدهم أن يتوبوا إلى رشدهم. فما جاء مع « إنْ » في هذا الغرض قوله تعالى:

*** الأمر:**

– ﴿ فإنْ لَمْ تَفْعَلُوا فأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ﴾ (230).

فالغرض من الأمر الوعيد والتهديد، لأن الحرب داعية للقتل(231). إذ لا تهديد أو وعيد أعظم من التهديد بالقتل.

– ﴿ وإنْ كانَ طائفةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بالّذي أُرْسِلْتُ بِهِ وطائفةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حتّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنا وهو خَيْرُ الحَاكِمِينَ﴾ (232).

فالأمر بالصبر هنا، للطائفة التي لم تؤمن، تهديد، لأن حكم الله بين الطائفتين لن يكون إلا بنجاة المؤمنة وهلاك الكافرة.

– ﴿وَإِنْ كَذّبوكَ فقُلْ لِي عَمَلِي ولَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمّا أَعْمَلُ وأَنا بَرِيءٌ مِمّا تَعْمَلُونَ﴾ (233).

فالأمر هنا يفيد المنابذة والموادعة المتضمنة للوعيد والتهديد.

– ﴿ قُلْ إنْ كانَ آباؤُكُمْ وأَبْناؤُكُمْ وإخْوانُكُمْ وأَزْوَاجُكُمْ وعَشِيرَتُكُمْ وأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَها ومَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ وجِهادٍ في سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حتّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ واللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾ (234).

فالأمر في قوله تعالى (فتربصوا) تهديد ووعيد ليس أشد منه، لأن الآية تنعي على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين(235). وهو مثل قوله تعالى:﴿ اِعْمَلُوا ما شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(236). فليس الأمر هنا يقصد به مطلق حرية العمل دون محاسبة، وإنما هو تهديد، كقولك لمن يعصيك: افعل ما تريد.

*** القسم:**

– ﴿وقالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وآتَيْتُمُ الزَّكاةَ وآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وعَزَّرْتُمُوهُمْ وأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِئاتِكُمْ ولأُدْخِلَنَّكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تحْتِهَا الأَنْهارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (237).

–﴿وإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ولَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عذابي لَشَدِيدٌ﴾ (238).

فالوعد بزيادة نعمة إلى نعمة، والوعيد بمضاعفة العذاب.

– ﴿ ولَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (239).

ففي قول امرأة العزيز تهديد وإصرار.

* **خروج الشرط عن الأمر، والاستفهام**، والقسم، والنهي، أي عادي ، نفيا أو إيجابا:

– ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللهُ في أَرْحامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ باللهِ واليوم الآخرِ﴾ (240).

إنّ من اتصف بالإيمان لا يقدم على ارتكاب ما لا يحل له، وفيه إيعاد وتعظيم للكتم، وتهديد لمن فعل ذلك، وهو شبيه بقولك: إن كنت مؤمنا فلا تظلم، وأنت مؤمن فلا تظلم(241) .

– ﴿ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذاباً أَلِيماً﴾ (242).

ففي الشرط الأول إحسان ولطف منه تعالى بهم ووعد بالخير، وفي الثاني تهديد بتعذيبهم في حالة الديمومة على التولّي(243).

– ﴿ وإِنْ يُكَذِّبوكَ فقدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نوحٍ وعادٌ وثَمُودُ﴾ (244).

فيه وعيد لقريش وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.

– ﴿ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بما تَعْمَلُونَ﴾(245).

فيه إنذار ووعيد، ولكن برفق ولين.

– ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (246).

فيه وعيد بالإهلاك.

### 3 – هز النفس وحفز الهمة وحضها

من الأغراض التي حَرَصَ القرآن الكريم على إبرازها، حفز الهمة، وتحريك النفس المؤمنة، وحثها على المسارعة في فعل الخيرات، بالوسائل التعبيرية المختلفة، ومن ذلك أسلوب:

***الأمر:**

– ﴿ يا أَيُّها الذينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ واشْكُرُوا لِلّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (247).

ففي الأمر تثبت من صدق العبادة وهز للنفوس، كما نقول لمن هو متحقق العبودية، إنْ كنت عبدي فأطعني، وهو عبدك حقا، ليكون أدعى للطاعة وأهز لها.

– ﴿ يا أَيُّها الذينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللهِ والرَّسولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾ (248).

فالدليل على قصد الدعوة والحضّ على اتباع الحق أنه ناداهم في أول الآية بقوله: (يا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا)، كما أنّ في الآية إشعاراً بوعيد من لم يرد الأمور إلى الله والرسول(249).

– ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآياتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (250).

فيه حثّ على أكل ما أُحلّ، وترك ماحُرّم، وعدم مخالفة أمر الله (251).

– ﴿ وأَطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (252).

أي: إن كنتم كاملي الإيمان فأطيعوه، ففيه حث وحفز الهمة.

* **القَسَم:**

-﴿ وكَذلِكَ أَنْزَلْناهُ حُكْماً عَرَبِيّا ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ ولا وَاقٍ﴾ (253).

فهو من باب الإلهاب والتهييج، والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه(254).

* **النهي:**

- ﴿ولا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ في دِينِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾ (255).

* **أسلوب الشرط عادي:**

- ﴿ إنَّ في ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (256).

ففي المعجزات التي جاء بها عيسى - عليه السلام - قومه، تثبيت لنفوسهم وتطمين لها، وهو من باب قولك لابنك: أطعني إن كنت ابني، ومعلوم أنه ابنك، ولكن تريد أن تهزه بذكر ما هو محقق، وهو البنوة، فجعلتها معلقة على ما قبلها، وهي الطاعة ، على سبيل أن تحصل. وهذا المعنى لمن آمن من قومه، وهم الحواريون. أما إذا كان الكلام لمن لم يؤمن منهم، ففيه توبيخ وتقريع(257).

- ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآياتِ إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (258).

فقد علم تعالى أنهم عقلاء ، لكن علقه على هذا الشرط على سبيل الهز للنفوس ، كقولك: إن كنت رجلاً فافعل كذا (259).

- ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (260).

علق قوله تعالى: (إن كنتم مؤمنين) بالنهي، فيكون ذلك هزاً للنفوس يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله(261).

يمكن أن يدخل هذا تحت النهي السابق. أو تحت أسلوب الشرط العادي على تقدير : إن كنتم مؤمنين فأنتم الأعلون، وعلى النهي يكون : إن كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولاتحزنوا.

- ﴿ يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودوا لمثلِهِ أبداً إنْ كُنْتُمْ مُؤمنينَ﴾ (262).

### 4 - التحدي

جاء التحدي بين معسكري الحق والباطل مسافراً بين معسكري الحق والباطل في كثير من الآيات بأسلوب الشرط وغيره، مع "إنْ" وغيرها، فمما جاء مع " إنْ " في:

* **الأمر:**

- ﴿ قُلْ إنْ كانتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرةُ عِنْدَ اللهِ خالصةً مِنْ دُونِ الناسِ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (263).

الخطاب للذين هادوا الذين زعموا أنهم أولياء لله من دون الناس، فتحداهم بتمني الموت، لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اختار أن ينتقل إليها، وفي الآية إظهار لكذبهم (264).

- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(265).

أي: إن كنتم صادقين ، فادعوا من استطعتم. وقد يدخل هذا المعنى تحت باب التعجيز والتهكم، كما مر، فتتناوب بعض الآيات بعض الأغراض أو تتقارب.

* **القَسَم:**

- ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (266).

فأي تحد وتعجيز أعظم من هذا؟؟

5 – **النصح والإرشاد**

لم يألُ القرآن جهداً في توجيه النصح لكل منكر بأنواع التعبير المختلفة، من مثل:

*** الأمر:**

– ﴿فإنْ لم تَفْعَلُوا ، ولَنْ تَفْعَلُوا ، فاتّقُوا النّارَ الّتي وَقُودُها النّاسُ والحِجارَةُ﴾ ( 267 ).

لما علم أنهم عاجزون عن معارضة القرآن، وثبت عجزهم عن ذلك، نصحهم وأرشدهم، وأمرهم باتقاء النار،ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بالله ورسوله وكتابه.

*** النهي:**

– ﴿يا نساءَ النّبيِّ لسْتُنَّ كأحدٍ من النّساءِ إنِ اتّقَيْتُنَّ فلا تَخْضَعْنَ بالقوْلِ فيَطْمَعَ الذي في قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (268 ).

6 – **التنبيه والتحذير**

دأب القرآن في دعوته على التنبيه من الوقوع في المخالفات والتحذير من مغبة ذلك، بأساليبه المتجددة عن طريق:

*** الاستفهام:**

– ﴿قلْ أرَأيْتُمْ إنْ أتاكُمْ عذابُهُ بياتاً أوْنهاراً ماذا يَسْتَعْجِلُ مِنْه المُجْرِمون﴾؟ (269 )

ففيه تلطف في خطاب الرسل وتنبيه للمنكرين وتحذير، وتعجب من مواقفهم.

*** القسم:**

– ﴿ولَئِنْ أصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأنْ لم تكنْ بينَكُمْ وبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يا لَيْتَني كنتُ مَعَهُمْ فأفُوزَ فَوْزاً عَظيماً﴾ ( 270 ).

ففيه تنبيه وتحذير المؤمنين من المنافقين الذين لايعدون من المنح إلا أغراض الدنيا، ولا من المحن إلاّ مصائبها(271).

– ﴿فلمّا رأى القَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبّي فَلَمّا أفَلَ قالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِني رَبّي لأكونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضّالّين) (272 ).

فيه تنبيه لقوم إبراهيم عليه السلام على أن من اتخذ القمر إلهاً فهو ضال،وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه (273).

*** النهي:**

– ﴿فإنْ أطَعْنَكُمْ فلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبيلاً إنّ الله كانَ عَلِيّاً كَبيراً﴾ (274).

الذي يدل على التحذير في الآية، قوله تعالى: ( إنّ الله كان عليّا كبيراً)، فيوحي بأنّ قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم(275).

– ﴿فإنْ شَهِدُوا فلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ (276).

– ﴿وإنْ جاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾ (277).

– ﴿وإنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فلا تُطِعْهُمَا﴾ (278).

*** الشرط عادي:**

– ﴿إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أيُّها النّاسُ ويَأْتِ بآخَرينَ﴾(279).

– ﴿إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ (280).

– ﴿إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ويَأْتِ بخَلْقٍ جَديدٍ﴾(281).

ففيه إظهار القدرة التامة والغنى المطلق وعمومية الخطاب، والتحذير من بطشه تعالى(282).

7 – **الاستبعاد**

تمادى أهل الكفر بالعناد ظناً منهم أنهم بمنأى عن العذاب، فعبروا عن ذلك بطرق، منها :

*** الاستفهام:**

– ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(283).

أي: لستم صادقين، على سبيل استبعاد العذاب أو البعث، والاستخفاف بأقوال الرسل.

*** أسلوب الشرط عادي:**

– ﴿وَلاَ يزالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا﴾( 284).

فيه استبعاد لاستطاعتهم، كقول الرجل لعدوه: إن ظفرتَ بي فلا تُبْقِ عليَّ،وهو واثق أنه لايظفر به( 285).

– ﴿ فإنْ يَخْرُجُوا مِنْها فإنّا داخِلُونَ﴾(286 ).

فيه استبعاد وقوع الشرط ، وهو خروج الجبارين، وبالتالي استبعاد وقوع الجواب، لأنه معلق عليه، وهو الدخول، ففيه تعليق الدخول على شرط ممكن وقوعه (287).

– ﴿ أَمْ يَقُولونَ افْتَرَى علَى اللهِ كَذِباً فإنْ يَشَأِ اللهُ يَخْتِمْ على قَلْبِكَ﴾ (288).

فاستبعاد الجواب، وهو الختم، محقق، لاستبعاد الشرط، وهو الافتراء منه صلى الله عليه وسلم.

**8 – خروج الشرط مخرج الممكن، وإبراز اليقين في صورة الاحتمال، والفرض والتقدير**

هناك أمور لا يمكن تحققها، لم يسكت القرآن عنها، بل أبرزها في صورة الممكن على سبيل الافتراض، بضروب من القول، لأغراض متباينة، بطرق ، منها:

*** الأمر:**

– ﴿قُلْ فَأْتُوا بالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(289).

لقد خرج قوله تعالى: (إن كنتم صادقين)، مخرج الممكن، وهو معلوم كذبهم، وذلك على سبيل الهزء بهم، كقولك: إن كنت شجاعا فالقني، ومعلوم عندك أنه ليس بشجاع، ولكن هزئت به، إذ جعلت هذا الوصف مما يمكن أن يتصف به(290).

– ﴿ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (291).

أي: إن كنتم رجالاً دفاعين لأسباب الموت، فادفعوا جميع أسبابه حتى لاتموتوا، فالأمر يحمل معنى السخرية والاستهزاء، إذ لا يمكن لأحد أن يدفع الموت.

– ومما برز فيه الشرط في صفة إمكان وقوعه، وإن كان واقعا، ولكن ليس للهزء والسخرية:

﴿ وإنّما ذَلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فَلاَ تَخافُوهُمْ وخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (292).

فوصف الإيمان يناسب ألاّ يخاف المؤمن إلاّ الله، فأبرز هذا الشرط في صفة الإمكان، وإن كان واقعا، إذ هم متصفون بالإيمان، كما تقول: إن كنت رجلاً فافعل كذا، ومعلوم أنه رجل(293). ومثل هذا في القرآن كثير. كما يمكن إدراج هذه الآية تحت أسلوب النهي، على تقدير: (إن كنتم مؤمنين فلا تخافوهم).

– ﴿ فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ (294).

ففيه سخرية من هود، عليه السلام، ودعوته.

*** الاستفهام:**

– ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هو في شِقاقٍ بَعِيدٍ﴾ (295).

فقد أبرز الشرطُ اليقينَ الذي لاشك فيه، وهو كون القرآن من عند الله، في صورة الاحتمال، وهو من عند الله بلا شك (296).

* **القسم:**

– ﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً﴾ (297).

أي: لو فرض وقدر له البعث والرجعة، أو على معنى الاستحقاق والاستئهال(298).

– ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وإلى الذين مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ولَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ﴾ (299).

المحالات يصح فرضها لأغراض فكيف بما ليس بمحال؟ وهو مثل قوله تعالى: ﴿ ولَوْ شاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ في الأَرْضِ كُلُّهُمْ جميعاً﴾(300). ولن يكون ذلك لامتناع الداعي إليه ووجود الصارف عنه(301).

* **عادية أسلوب الشرط:**

– ﴿وإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْها﴾(302).

أي: لو قدر أنها تملك الفدية يوم القيامة لن تقبل منها.

– ﴿ قُلْ إن افْتَرَيْتُهُ فَلاَ تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئاً﴾ (303).

ففي الآية فرض لا يمكن وقوعه، وهو افتراء القرآن أو الوحي على الله، بل هو مستحيل.

**9 – التوبيخ، والذم، والتحقير**

كثيراً ما ينعي القرآن على الذين يلجّون في طغيانهم ويمعنون في باطلهم، ينعي عليهم مواقفهم، مجادلاً أن يردهم بالحكمة والموعظة الحسنة، بأساليب فصيحة، طالما عرفوها، فإن لم يُجْدِ ذلك معهم، خاطبهم بما يتفق والمقام، ولكن بلطف وأدب، أيضا، ومن هذه الأساليب:

* **الأمر:**

–﴿ فإنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (304).

أي: سترون أيها المتولون عاقبة توليكم، فالغرض من الأمر التوبيخ والتهديد(305).

– ﴿ فذكِّرْ إنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (306).

فالمعنى على استبعاد انتفاع طغاة قريش بالذكرى، كقول الشاعر:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نادَيْتَ حَيّاً

وَلَكِنْ لاحياةَ لِمَنْ تُنادِي

وهو كقولك أيضا: قل لفلان وأعد له إنْ سمعك، فقوله: (إن سمعك) إنما هو توبيخ وإعلام أنه لن يسمع(307). وقد يكون من باب الاستبعاد كما مر.

* **القسم:**

– ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ (308).

ذمهم لأنهم لم يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وكفروا (309).

* **الشرط عادي:**

– ﴿ وَقَالَ مُوسَى إنْ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فإنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (310).

ففي الخطاب تحقير لشأن المخاطبين وتعظيم لشأن الله تعالى.

**10 – الإنكار، والاستعجال، والسخرية**

من طبيعة النفس البشرية التي لم يلامس الإيمان شغاف قلبها، أن تجنح، أحيانا، إلى إنكار الحق ومعارضته، والتمادي فيه، فلا بد، والحالة هذه، من مواجهتها بأسلوب يهزها لتثوب إلى رشدها، وقد يجيء الإنكار على صورة:

* **الأمر:**

– ﴿ وإذْ قَالُوا اللّهُمَّ إنْ كانَ هذا هُو الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجارَةً مِن السّماءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ (311).

ففي أسلوب الشرط مبالغة في إنكار الحق عظيمة.

– ﴿ فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ (312).

إنهم ينكرون على نبيهم هود – عليه السلام– دعوته، فهم إما يسخرون، وإما يستعجلون العذاب، لاعتقادهم أنه غير صادق.

* **القَسَم:**

– ﴿ وَلَئِنْ قُلْتَ إنّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنَّ الّذِين كَفَرُوا إنْ هذا إلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (313).

– ﴿ وَلَئِنْ أَخّرْنا عَنْهُمُ العَذَابَ إلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسُهُ﴾ (314).

ففي الآية الأولى إنكار، وفي الثانية إنكار مع استعجال على وجه التكذيب والاستهزاء(315).

**11 – التخيير، والإباحة، والتلطف في الاستدعاء**

لم يحجر الشارع على العباد ويحصرهم في دائرة ضيقة ، بل ترك لهم حرية الاختيار في المباحات، ودعاهم إلى وجود البر، بتلطف وعطف، بألفاظ منها:

* **الأمر:**

–﴿ وَإنْ خِفْتُمْ ألاّ تُقْسِطُوا في اليَتامى فانْكِحُوا ما طَابَ لَكُمْ مِنَ النّساءِ مَثْنى وثُلاثَ وَرُباعَ، فَإنْ خِفْتُمْ ألاّ تَعْدِلُوا فَواحِدَةً أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ ذلِكَ أَدْنى ألاّ تَعُولُوا﴾ (316).

جاء الشرط، هنا، للتخيير بين شيئين للإشعار بالمساواة بينهما، والتلطف والعطف على المخاطبين وذوي الشأن من المكلفين، والتعطف على النساء والنظر لهن، وجاء التخيير مشعراً بالمساواة بينهما في الحكمة المطلوبة من سكون النفس بالازدواج وتحصين الدين، وكل ذلك حاصل بالطريقين(317).

– ﴿ فَإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾ (318).

فجواب الشرط ( فكلوه ) مؤذن بالإباحة بالانتفاع بهذا الشيء، وإن كان بلفظ الأمر.

– ﴿ إنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ (319).

ففي لفظ القرض تلطف في الاستدعاء، وفي لفظ المضاعفة تأكيد للبذل لوجه الله تعالى(320).

**12 – الحرص على طلب الاستدامة والكمال، أو على أمر ما، أو سلوك معين**

يحرص الإسلام على تربية أتباعه بحثهم على نشدان الكمال، والتمسك بما يقودهم إلى شاطئ النجاة، متوسلا إليهم بشتى الطرق، مثل:

* **الأمر:**

– ﴿ يا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا اتّقُوا اللهَ وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِبَا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (321).

فالغرض من الأمر بترك الربا الاستدامة والكمال، وكأن الإيمان لا يتكامل إذا أصر الإنسان على كبيرة، وإنما يصير مؤمنا بالإطلاق إذا اجْتُنِبَت الكبائر(322).

* **القسم:**

– ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ في سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ﴾ (323).

– ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإلَى اللهِ تُحْشَرُونَ﴾ (324).